الذي يزني
يخطئ إلى جسده

للقديسين

غريغوريوس النيسي

يوحنا ذهبي الفم

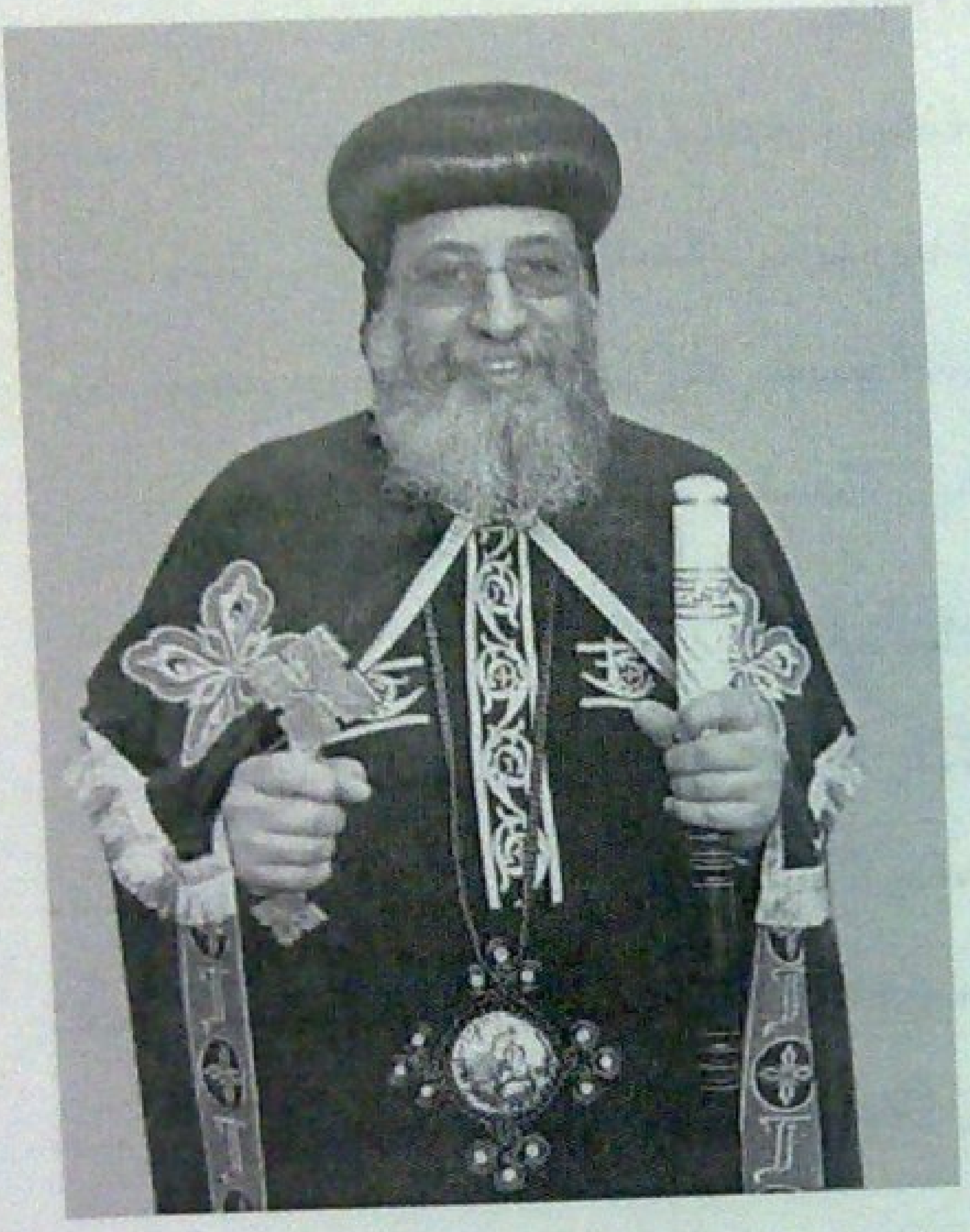
اسم الكتاب : الذي يزني يخطئ إلى جسده

اسم المؤلف : غريغوريوس النيسي ويوحنا ذهبي الفم

المترجم : د. سعيد حكيم يعقوب

الطبعة الأولى : فبراير ٢٠١٣

اسم المطبعة : جي سي سنتر، ١٤ ش محمود حافظ سفير مصر الجديدة ٢٦٣٣٧١٢٤



قداسة البابا الأنبا تواضروس الثاني
بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

المحتويات

مقدمة

هاتان العظاتان للقديسَين غريغوريوس النيسي ويوحنا ذهبي الفم، هما جزء من تفسير الرسالة الأولى إلى كورنثوس (١كو٦:١٨).

حيث يركزان فيهما على ضرورة الإبتعاد عن كل ما يقود إلى خطية الزنا، لأنها خطية مدمرة للنفس والجسد معًا. ولهذا ينصحان بالهروب من الزنا، لأن الذي يزني يخطيء إلى جسده.

في العظة الأولى: يُنبه القديس غريغوريوس النيسي إلى خطورة خطية الزنا، وضرورة الهروب منها، ويقول إن الرسول بولس يعرف هذا الأمر جيدًا، بإعتباره واحد من جنود الإيمان، ويعرف متى تكون المقاومة كما في قوله: «فأثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر» (أف٦:١٤)، ومتى ينصح بالهروب، حين يقول «أهربوا من الزنا» (١كو٦:١٨). لأنه يعتبر الزنا أكثر الخطايا خطورة على النفس والجسد معًا. فالذي يزني يُفسد جسده، لأن كل خطية يرتكبها الإنسان هي خارجة عن الجسد،

بمعنى أنها لن تفسد طبيعة الجسد، ولن تؤدي إلى إهانة الأعضاء، ولن تنتهي بالنجاسة، أما «الذي يزني فيخطي إلى جسده» . ثم يقول إن مصير الإنسان الزاني، هو مصير سّيء ورديء، فالجميع يتجنبه، ويكون مصدر خجل لأقاربه، ومبعث حزن لوالديه، وإن تزوج يصير مشكوكًا في تصرفاته، وأب مكروه من أبنائه ومُحتقر من الجميع. بعد ذلك يشرح قيمة العفة وأهميتها، ويعطي مثال بعفة يوسف، فهذه العفة جعلت السيدة (أي زوجة فوطيفار) عبده لعبدها، لأنها توسّلت إليه بشدة أن يضطجع معها، إلا أنه رفض، وإنطفأ سهم الزنا الملتهب في ثوبه الذي أمسكت به، وخرج عاريًا، لكن هذا السهم لم يستطع أن يدخل إلى نفسه. ها هو عرى أكثر وقارًا من الإكتساء كما يقول القديس غريغوريوس النيسي.

أما في العظة الثانية: فيرى القديس يوحنا ذهبي الفم أن هناك أثار سيئة ومدمرة لخطية الزنا، لأن الذي يزني يُخطيء إلى جسده. فخطية الزنا هي خطية مُشينة وغير لائقة، لأن الجسد بكامله يصبح دنسًا بسبب هذه الخطية، كما لو أن الزاني قد سقط في قِدر ملوث وإنغمس فيه بالكامل، هكذا مَن يتلوث بالزنا. ثم يؤكد

القديس يوحنا ذهبي الفم على حقيقة هامة قد ذكرها القديس بولس، حين قال«إنكم لستم لأنفسكم» وهذا «لأنكم قد إشتريتم بثمن» ثم يستطرد قائلاً «فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله». ويشرح القديس يوحنا ذهبي الفم هذا الكلام، قائلاً: إن مطلب الرسول بولس هنا، هو أن نهرب من الزنا، ليس فقط بالجسد، بل بأرواحنا أيضًا. لأننا إن فعلنا عكس ذلك ستتخلى عنَّا النعمة. ثم يُكمل قائلاً ونحن نفكر في هذه الأمور، ينبغي علينا أن نوقِّر ذاك الذي يسكن فينا، إنه الروح القدس المعزي، وأن نسلك بمخافة أمام مَن هو مُتحد بنا، أي المسيح له المجد. لأن مَن إلتصق بالرب فهو روح واحد، وهذا يحدث عندما تكون كل السيادة هي للروح القدس.

تمت الترجمة عن النص اليوناني الأصلي الموجود في سلسلة آباء الكنيسة (ΕΠΕ) الصادرة في تسالونيكي سنة ١٩٧٣ المجلد رقم ١٠ من ص٢٨٨- ٢٩٩، والمجلد رقم ١٨ ص ٤٩٧- ٥٠٣.

أرجو أن يستخدم المسيح إلهنا هذا الكتاب لمجد إسمه، ولبنيان كنيسته، بصلوات الرسول بولس، والقديس باسيليوس، وصلوات كل الآباء

المطارنة والأساقفة، وصلوات أبينا البطريرك البابا تواضروس الثاني، وللثالوث القدوس الآب والإبن والروح القدس المجد والإكرام إلى الأبد آمين.

العظة الأولى

الذي يزنى يخطئ إلى جسده

للقديس غريغوريوس النيسى

خطورة خطية الزنا:

مُخيف هو بوق الأمر الرسولى. إذ أنه يَعِد جموع المؤمنين بأمور كثيرة، بل يحاول بشكل أساسى أن يُبعدهم عن هوة الرذيلة، وفي النهاية يُضيف أمرًا عسكريًا. لأنه يقول: «اهربوا من الزنا. كل خطية يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد»[1]. إن الجنود في الحروب التي فيها إلتحام جسدي ينسقون فيما بينهم بمعرفة تامة، ويُحدّدون كيف يكون هذا الإلتحام، فتارة بالصدام وجه لوجه، وتارة أخرى بتجنب الإشتباك والهروب. وهناك الحروب النفسية، والتي تُدار إما بالمقاومة أو بالهروب.

إن الرسول بولس يعرف هذا الأمر جيدًا، وهو واحد من جنود الإيمان، ويقود الجيش مستخدمًا هذا التكتيك أو ذاك، بشكل جيد جدًا، فهو

١- ١كو٦:١٨.

يأمر أحيانًا بالمقاومة في المعركة قائلاً: «فأثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر»[٢]. وأحيانًا أخرى ينصحنا بالهروب من مواجهة من يحاربنا، قائلاً: «اهربوا من الزنا». فإن كان الإتهام بالجحود يُسيء إلينا، فمن المفيد مقاومته، وإن كان هناك تهديدًا لنا من قبل العبيد، فمن المفيد الصمود في مواجهة هؤلاء الخصوم، إذا أطلقوا علينا سهام الوشاية، فعندما تكون المعركة مواجهةً يصبح أمرًا ضروريًا وهامًا، مواجهة الكذب ودحضه. ولكن عندما تُوجه لنا سهام الزنا، فمن المفيد أن نُدير لها ظهورنا ونهرب من المواجهة. لأن الزنا يُحقق هدفه عن طريق النظر، ويجب أن نتذكر القائد الذي أعطانا هذا الأمر «اهربوا من الزنا». لأنه يعتبر الزنا أكثر الخطايا خطورة على النفس والجسد معًا. بمعنى أنه يعتبر أن الأنواع الأخرى للخطية لا يُجرب بها الجسد، وأن العمل ينحصر في مَن يرتكب الخطية فقط. على سبيل المثال: في حالة السلب أو الخطف، يكون الضرر منحصرًا فقط في تلك الأشياء التي سُلبت. أيضًا فيما يتعلق بخطية الحسد فإنها تنشأ عن الرغبة في أن يؤذي الحاسدون المحسودين. أما الوشايات

٢- أف٦: ١٤.

عندما تصير مُصدّقة، فإن الخطر يقتصر على أولئك الذين يُوشى بهم. أيضًا بالنسبة لأولئك الذين تجرأوا على القتل، فإن الضرر يُصيب فقط الذي ذُبح. لذلك فإذا فحص المرء أى عمل ظالم، فسيجد أن الظالمين يغتنموا شيئًا، أما المظلومين فيكونوا هم الخاسرين. أما الزنا فلا يعرف هذا التمييز، ولا يفصل بين المجني عليه والجانى، بل يؤدي إلى نهاية مشتركة، ويربط بينهما برباط النجاسة. أما حين يُقبِل الجشعون على إيذاء الآخرين، فلن يُخطئ سواهم في أى شيء. ولكن الزناة عندما يهينوا أجسادهم، فمن المستحيل ألا يُهان الذين يشتركون معهم في نفس الفعل. ومن الممكن بالنسبة لمن يقتل ألا يُقتل مع مَن يقتله، إلاّ أنه من غير الممكن للزناة إذا دنسوا جسدهم، أن يظلوا أنقياءًا من الدنس.

الذي يزني يُفسد جسده:

أرجو أن تلاحظ دقة الرسول بولس، فهو يقول «اهربوا من الزنا «لماذا؟» لأن كل خطية يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد«بمعنى أنها لن تُفسد طبيعة الجسد، لن تؤدي إلى إهانة الأعضاء، ولن تنتهى بالنجاسة، لكنها تُرتكب دون إلحاق ضرر بالجسد الذي إرتكبها. لكن «الذي يزني يخطئ إلى جسده»[٣]. ليس مثل القاتل الذي يخطئ إلى جسد غريب، ويحفظ جسده بدون إصابة، ليس مثل الجَشِع الذي يضمر لآخر سوءً يؤدي إلى التأثير على جسده، أما الزانى فهو يفسد جسده، إنه هو نفسه الذي يثقب ذاته بسهم الفضيحة أو العار. والسارق يتجرأ على مخالفة القانون لكى يُطعم جسده، في حين أن الزاني ينتهز اللحظة المناسبة، لكى يسرق جسده. الجَشِع أو الشره يُستَفَذ لكى يسلب وأن يخطف بسبب ولعه بالربح، أما في حالة الزنا فيفقد الجسد وقاره. وبالنسبة للحاسد أيضًا فإن شهوته تتجه نحو جسد شخص آخر، بينما الزاني هو الذي يُسبب لنفسه الآلام. هل يوجد شيء أكثر وضاعة من جسد مُرتكب الزنا؟ لأن العبودية لأى خطية هى وضاعة (طالما

٣- ١كو٦: ١٨.

أنها تُحقّر من طاقة النفس)، الزاني هو عبد مُحتقر جدًا من الخطية. لأنه حين يفعل هذه الخطية، ينغمس أكثر في الوحل، لأنه يمارس عملاً دنسًا. أم أنه ليس وحلاً أن يتمرغ أحد في الطين، وأن تفسده الرذيلة، وأن يحمل جسدًا لا يختلف عن خرقة ممزقة؟ لأنه ما هو الإختلاف بين الخرقة البالية، والزاني؟ الزاني إذ إنفصل عن جسد التقوى، فإنه يَفسَد في عفونة يومية، ويُداس في طرق الخطية مثل خرقة بالية، ويصير موضعًا تدوسه الشياطين، بل إن الشيطان يدعم أفكاره في هذا الاتجاه.

ماذا ينتظر الزاني؟:

ومن حيث إن خطية الزنا ليست بالأمر الهين، فهذا أمر واضح وجليّ للجميع. أما بالنسبة لمصير الإنسان الزاني، فهو مصير سيء ورديء، حيث تتجنبه البيوت، ولا يرغب أحد في مصاحبته، ومَن يقترب إليه يحتقرونه، أعدائه يدينونه، ويكون مصدر خجل لأقاربه، وملعون من الذين يُقيمون معه، مبعث حزن لوالديه، ومنظر لخدامه، يصير موضوع يرويه جيرانه ويسخرون منه، وإذا أراد أن يتزوج يرفضونه، وبعد الزواج يصبح زوجًا مشكوك في تصرفاته، وهو أب مكروه من أبنائه، ورمز مُحتقر من الجميع، يثير الإشمئزاز عندما يُقدم شيء، وعندما يطلب يثير إشمئزاز أكثر، هو بائس عندما ينظر من بعيد، وأكثر مَن يستحق الشفقة عندما يمرض، وعندما يموت لا يُكرمه أحد. وإذ يرى الرسول بولس أن الزنا هو مصدر لعدد كبير من الخطايا، **فقد أعطانا الأمر المشدد بالهروب المنتصر** «اهربوا من الزنا».

قيمة العفة:

هذا الأمر يُذكّرني الآن بفكر ذاك الشاب (يوسف)، الذي أصبح متميزًا في مواجهته للزنا أثناء وجوده في أرض مصر، فكانت مواجهته بالهروب. على الرغم من الأمور الكثيرة التي كان من الممكن أن تُساهم في إقناع الشاب ـ بإرتكاب الفعل ـ وهى محبة الشهوة المرتبطة بالسن، نير العبودية، الملاطفة والمغازلة من سيدته، الحوار المستمر عن الفجور، التحريض على المعاشرة سرًا. لأن الكتاب يقول: إن يوسف يومًا ما «دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسانًا من أهل البيت هناك في البيت. فأمسكته بثوبه قائلة اضطجع معى. فترك ثوبه في يدها وهرب إلى خارج» [٤]. **عظيمة هى قيمة العفة، جعلت السيدة عبدة لعبدها. لأن ذاك تَقبّل توسلات حارة، عندما توسلت هذه إليه بشدة «اضطجع معى» . لقد كان سهم الزنا ملتهبًا ولكنه لم يجد داخل النفس مادة يمكن أن تشتعل، بل انطفأ داخل ثوبه الذي أمسكت به الشهوة الرديئة** وصرخت «اضطجع معى» . كانت السيدة تتؤه من الجوع لهذه الشهوة الجنسية، ولكن أذان الشاب العفيف أُغلقت أمام الصرخة. لأن هذه

٤- تك٣٩: ١١ـ١٢.

قالت «اضطجع معى» بينما العفة صرخت في الشاب عكس ذلك، قالت انتظر لتسهر معى، بينما ذاك أظهر أنه يقظ لنفسه. مقاومته لم ترتخِ بالمغازلة، قراره لم ينثني أمام نفس النغمة، لم تَسقط العفة اليقظة في النوم، لم يستسلم للأيدى التي أمسكته، لم يُمسك من الوجه الحسن، لم يتأثر بمداعبة كلمات العشق، بل كانت هذه الكلمات وصوت سيدته المداهن، أسوء من إتهام «اضطجع معى».

لقد وقف الشيطان مستعدًا ليقوده للزنا، وضيق حوله الخناق، وساعد الزانية أن تمسك بالثوب، ولكنه لم يعرف أنه صارع مع إنسان مُتدرب على العفة، إذ تجنّب بنجاح قبضات تلك التي أمسكته. لأنه يقول «فترك ثوبه في يدها وهرب إلى خارج»[٥]. **ها هو عرى أكثر وقارًا من الاكتساء.** وماذا فعل داء الفسق المصرى؟ لقد حمَّلت يوسف مسئولية نجاستها، وركضت نحو زوجها وقالت له: «قد جئت إلينا برجل عبرانى ليداعبنا. دخل إلىّ ليضطجع معى فصرخت بصوت عظيم. وكان لما سمع أن رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب وخرج إلى

٥- تك٣٩: ١٢.

خارج »[٦]. ومرة أخرى يُتَهم يوسف والدليل هو الثوب. لقد أخذ اخوته قديمًا قميصه ووشوا به بسوء نية، وقالوا إن الوحوش أكلته، والدليل كان هذا القميص، الآن فإن هذه تأخذ ثوبه وتقدمه كزاني. وينطبق على يوسف قول الرب: «اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة»[٧]. إن كلام العفة يعد كلامًا حلوًا بالنسبة للمجاهدين في طريق العفة، إلاّ أنها تعتبر شاقة بسبب ضعف الجسد. كم كانت عادلة حماية الله ليوسف. ولم يُكرّم الله يوسف قبل التجارب، ولكنه أظهر له بهاء مستقبله عن طريق الأحلام، قائلاً إنه منذ وقت بعيد أعد للأبرار أمجادهم، لكنه ترك التجارب لتختبر الشاب (أى يوسف)، وسد أفواه مُحبى الإتهامات. لأنه إن لم يكن يوسف قد جُرب، لقال مُحبو الإتهامات إن كل ما حدث قد حدث مصادفةً. كيف يكون ملك المصريين هو يوسف، كيف يحكم البربر شاب صغير! ما هى الفضيلة التي أظهرها؟ أهو الإنجاز الذي أتاح له هذا المنصب أو هذه المكانة؟ إذًا فلكى لا يُقَال ذلك عن البار، سمح له الله بأن يُجرّب، حتى تشهد له

٦- تك٣٩:١٤.

٧- يو١٩:٢٤.

هذه التجارب، ولكى تستَّد أيضًا أفواه مُحبّي الإتهامات. لنصد تلك الرميات التي يقذفنا بها شيطان الزنى، لنغلق آذاننا أمام صرخات الفجور، وأعيننا أمام المشاهد الشائنة لنسخر من الشهوات العبثية، لتحرس العفة أجسادنا، لتسكن النقاوة في أعضاءنا، وليكن حب الجمال بتعقل، لنستنير بنور أعمالنا، لنستضئ بممارسة الفضائل، لنحفظ أجسادنا هيكلاً نقيًا لسكنى الروح القدس، وليكن كل هذا إشارات مُحذرة، تنادي قائلة: إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله»[٨].

أردت ألا أنفصل عنكم، حتى ولو لقليل. فهل هناك ما هو أجمل وأحلى من صحبة الأب لأبنائه الذين يحبهم؟ ولكن نظرًا لأن كلمة التقوى تدعونا للجهاد، فينبغي أن ندعوكم إلى الكنيسة، آخذًا إياكم شركاءً في الصلاة. بل وأترجى محبتكم من أجل هذا، أن تصونوا نظام الكنيسة، ولو أثار البعض إضطرابات، فلتنتصروا عليها بطول أناتكم. لأن تهدئة الإضطرابات لا يحتاج إلى مماطلة. يجب ألا تقلقكم الشائعات الكثيرة، وألا تغويكم الثرثارات المختلفة، بل ارفعوا صلواتكم حتى

٨- ١كو٣:١٧.

يأتي الذين هم خارج الكنيسة إلى الطريق الذي نسلكه، إذ أننا مدعوين بصلواتكم، ومسنودين كل لحظة بالقوة الإلهية، فأنا الآن لديَّ القدرة أن أقول:«أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني»[9]. الذي له المجد والقوة والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

٩- في ٤: ١٣.

العظة الثانية

الذي يزني يخطئ إلى جسده

للقديس يوحنا ذهبي الفم (١كو٦:١٨)

الآثار السيئة لخطية الزنا:

«اهربوا من الزنا»[١٠]. لم يقل الرسول بولس ابتعدوا عن الزنا، لكنه قال «اهربوا»، أى بادروا أو أسرعوا في التخلص من هذا الشر. «كل خطية يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد. أما الذي يزني فيُخطئ إلى جسده» وعندما يقول هذا فهو يتوجه للضعفاء، ولأن كلمته هى عن الزنا، فإنه يؤكد على أن الذي يزني يخطئ إلى جسده، ويحاول سواء من خلال هذه الطريقة أو تلك، أن يُظهر مدي بشاعة هذه الخطية. إذًا ما قاله في الجزء الأول من هذه الآية «اهربوا من الزنا» هو أمر يخص الأتقياء، بينما هنا يتحدث عن الضعفاء، وهذه بالحقيقة هى ملامح حكمة الرسول بولس، إنه يحاول أن يُثير

١٠- ١كو٦:١٨.

الخجل في النفوس، ليس فقط من خلال طريقة واحدة، لكن بطرق مختلفة أيضًا، ويحاول أن يؤكد على أن هذه الخطية، تُعَد خطية مُشينة وغير لائقة.

ماذا إذًا - فقد يقول قائل - ألا يلوث القاتل يده؟ ألا يتلوث الطامع والخاطف بما يقترفاه؟ نعم بكل تأكيد، وأعتقد أن هذا واضح، ولكن لأنه لم يستطع أن يُشير إلى شيء أكثر سوءً من الزنا، فقد أكد على ذلك بطريقة أخرى، قائلاً إن الجسد كله يصير دنسًا في حالة الزنا. كما لو أن الزاني قد سقط في قِدر ملوث وانغمس فيه بشكل كامل، هكذا من يتلوث بالزنا. بعكس مَن تستولى عليه خطية الطمع والسلب، فإنه لا يُبادر بالذهاب إلى الحمام العام، بل يتوجه إلى بيته في هدوء. أما عندما يعاشر زانية، فإنه يأتي إلى الحمام ليتطهر، إذ أنه قد صار دنسًا بالكامل. هكذا فإن الضمير الإنساني يَعتَبر أن هذه الخطية بذيئة أو قبيحة. ومن ناحية أخرى فإن كانت هاتين الخطيتين، الطمع والزنا، هما من الخطايا المخيفة وتؤديان إلى الجحيم، إلا أن الرسول بولس بحكمته المعهودة في كل الأمور، قد شدّد كثيرًا على جريمة الزنا بالوسائل التي رتبها. ثم بدأ يشرح أهمية أن يبقى الجسد نقيًا

من كل دنس، لأنه كما يقول«جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم»ولم يقل فقط الروح القدس، بل«الروح القدس الذي فيكم» الأمر الذي يُظهر رغبة نفسية قوية. وأيضًا يضيف شارحًا «الذي لكم من الله» فقد تكلم أيضًا عن عطية الروح القدس، فمن خلال عظمة العطية، وقيمة الهبة، يُكرّم المستمع، وفي نفس الوقت يُخيفه، «وأنكم لستم لأنفسكم»، وهذا يُبيّن أنه لا يحاول فقط أن يُثير فيهم خجلاً، بل يحثهم أيضًا على الفضيلة. وهكذا يتساءل لماذا تفعل كل ما تشتهيه؟ أليس لك سلطان على نفسك؟

لستم لأنفسكم:

إذًا ماذا يعني بعبارة «أنكم لستم لأنفسكم» وماذا يريد أن يُحقق من وراء هذا؟ يريد أن يجعلهم أن لا يخطئوا، وأن لا يتبعوا شهوات نفوسهم غير اللائقة. لأننا بالحقيقة نريد لأنفسنا أمورًا كثيرة غير لائقة، في حين أنه من الواجب علينا أن نضبط أنفسنا، وهذا ممكن بالنسبة لنا، لأنه إن لم يكن هذا ممكنًا لنا، فإن النصيحة ستكون في غير موضعها.

لاحظ كيف أن الرسول بولس قد حقق ما يريد. فبعدما قال «لستم لأنفسكم»، لم يقل إنكم تحت ضغوط أو إكراه، لكنه أضاف: «لأنكم قد اشتريتم بثمن» . ثم يستطرد قائلاً «فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هى لله» . يقول ذلك لكي نهرب من الزنا، ليس فقط بالجسد، بل وبأرواحنا ونفوسنا أيضًا، وألاّ نفكر أبدًا في الزنا، لأنه إن فعلنا عكس ذلك ستتخلى عنّا النعمة.

وعندما يكتب الرسول بولس«في أجسادكم وفي أرواحكم التي هى لله «فهو يريد أن يذكّرنا باستمرار بأن كل شيء هو لله، الجسد، والنفس، والروح، لاحظ كيف أنه يُرجع كل

شيء للمسيح. وكيف أنه يسمو بنا إلى السماء، إذ يقول أنتم أعضاء المسيح، وهيكل الروح القدس. لا تصيروا إذًا أعضاء زنا، بل أعضاء جسد المسيح. وهذه الأمور يذكرها لكي يُظهر في نفس الوقت محبة الله تجاه البشر، فجسدنا هو له، وقد أنقذنا من سلطان الخبيث (أى الشيطان). فلو كان جسدكم غريبًا - أى ليس ملكًا لكم - فلن يكون لكم الحق في إهانة جسد غريب، وخاصةً لو كان هذا الجسد ملكًا لإلهكم، ولا أن تُنجّسوا هيكل الروح. وطالما أن ذاك الذي يقتحم منزلاً غريبًا ويستمتع بكل ما فيه، يُعَاقَب بشدة، فكم يكون عقاب ذاك الذي يجعل هيكل الملك ملجأ لصوص، فكّر في مقدار الشرور التي سيُعانيها.

جسدكم هو هيكل للروح القدس:

إذن ونحن نفكر في هذه الأمور، ينبغي علينا أن نوقّر ذاك الذي يسكن فينا، إذ هو الروح القدس المعزى، وأن نسلك بمخافة أمام مَن هو مُتحد بنا، أي المسيح له المجد. ألست عضوًا في جسد المسيح؟ فكر من الآن فصاعدًا، أى أعضاء كنت تحمل وأى أعضاء تحملها الآن، ولتكن متعقلاً وحكيمًا في ذلك. كانت أعضاءك من قبل أعضاء زنا، ولكن المسيح جعلها أعضاء جسده هو. وبالتالي فأنت لا تسود عليها، فلتكن عبدًا لذاك الذي حررك. فلنفترض أن لك ابنة، وقد قدمتها بغباء شديد، لبيوت الدعارة، مُقابل أجر وجعلتها تزني، ثم جاء بعد ذلك ابن ملك وحررها من تلك العبودية وتزوجها، فإنه لن يكون لك أي حق بعد ذلك أن تقودها إلى ممارسة الزنا، لأنك قد أعطيتها مرة واحدة وفقدتها.

إن حالتنا هى نفس الحالة، إذ قد أجّرنا جسدنا للشيطان، ذلك المحرض المخيف على الزنا، هذا الجسد قد خلّصه المسيح وأنقذه من هذا العذاب المؤلم. وبناءً على ذلك فجسدنا ليس ملكًا لنا، بل هو ملك لذاك الذي خلّصه. فإن أردت أن تكون عروسًا للملك، لا تجعله يعوقك

عن تتميم ذلك، أما إن قدته إلى الحالة الأولى، فستعاني مما هو طبيعي أن يعاني منه أولئك الذين سلموا أنفسهم لمثل هذا الفجور. ولذلك فعلينا إلتزام أخلاقي أن نُقمع هذا الجسد، لا أن نستحي منه. لا تنقاد لشهوات الجسد الشريرة، بل عليك فقط أن تسلك في طريق الحق بإستقامة.

فكر إذًا في كم الفجور التي خلّصك منها الله، لإن طبيعتنا ذاتها كانت أكثر قبحًا من كل زانية. لقد تسلَّل إلى النفس، السرقة والقتل، وتقيدت بلذة عابرة، وبأجر زهيد وتافه، وصارت مُتقلّبة بأفكار، وأفعال الزنا، وأثمرت فقط هذه المكافأة (أى التقلب والارتباك). لكن كون أن هذا كله قد حدث قبل مجىء المسيح، فهذا ما كان يُعتبر أمرًا خطيرًا. بيد أن تلك الأمور لم تكن بأية حال مخيفة بشكل ميؤس منه. ولكن أن تتدنس النفس وتتلوث مرة أخرى بالممارسات غير اللائقة (أي بالزنا) بعد الخلاص المُعطى من السماء وبعد الوعد بالملكوت وبعد التمتع بالأسرار، فكيف سيغفر لها؟

من إلتصق بالرب فهو روح واحد:

ألا تثق في أن لأولئك النسوة اللائي يتزين لأجل ممارسة الزنا، علاقة وثيقة بشيطان الزنا؟ ومَن سيختلف في هذا؟ ولو أن هناك من يختلف فلينظر إلى نفوس النساء اللائي سلّمن ذواتهن لمثل هذه البذاءة، وسيرى على كل حال، أن شيطان الزنا مرتبط بهن إرتباطًا وثيقًا. لأنه من الصعب أيها الأحباء، وربما هو مستحيل، حين يتزين الجسد إلى هذا الحد، أن تتزين النفس في ذات الوقت. بل من المتوقع أنه عندما نعتني بالواحد، أن نهمل الآخر. ليس من الطبيعي أن يحدث الأمرين في نفس الوقت. ومن أجل هذا يقول: «من التصق بزانية هو جسد واحد .. وأما من التصق بالرب فهو روح واحد»[١١]. هذا الثاني (أى من التصق بالرب) يصير روحًا، على الرغم من أن له جسد. لأنه حينما لا ينقاد بأي فكر جسدي أو أرضي، يصير روحًا واحدًا مع الرب، وهذا يحدث عندما تكون كل السيادة هى للروح القدس. وهكذا يتمجد الله. فلتقدم التسبيح والسجود للآب والإبن والروح القدس الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

١١- ١كو٦: ١٦.

لنصد تلك الرميات التي يقذفنا بها شيطان الزنى، لنغلق آذاننا أمام صراخات الفجور، وأعيننا أمام المشاهد الشائنة، لنسخر من الشهوات العبثية، لتحرس العفة أجسادنا، لتسكن النقاوة في أعضاءنا، وليكن حب الجمال بتعقل، لنستنير بنور أعمالنا، ولنستضيء بممارسة الفضائل، لنحفظ أجسادنا هيكلاً نقيًا لسكنى الروح القدس، وليكن كل هذا إشارات مُحذِّرة، تنادي قائلة: "إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله".

• المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ت: ٢٢٤١٤٠٢٣
E-mail: opcc2001@yahoo.com Website: www.patristiccairo.com

سعر النسخة:
٥,٠٠ جنيه